مجلة أبوليوس
المجلد 12 العدد 2 – جويلية 2025 الصفحات: 62- 78

تأويل المتخيل السّردي في كتاب "هرمينوطيقا المحكي" لمحمد بوعزة: مقاربة ميتا نقدية

The Interpretation of Narrative Imagination in Mohamed Bouazza's Hermeneutics of the Narrative: A Meta-Critical Approach

بلقاسم بن ضيف[1]، رشيد سلطاني[2]
[1]مخبر الدراسات الإنسانية والأدبية جامعة تبسة (E0280900)
[1] جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي. تبسة، belkacem.bendif@univ-tebessa.dz
[2] جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي. تبسة، rachid.soltani@univ-tebessa.dz

تاريخ الاستلام: 2025/05/15 تاريخ القبول: 2025/07/30 تاريخ النشر: 2025/07/31

ملخص البحث:

عرف الناقد "محمد بوعزة" بعدّة مؤلفات ودراسات في مجال السّرديات البنيوية والثقافية، من هذه المؤلفات التي لفتت انتباه الدارسين نجد كتاب: "هيرمينوطيقا المحكي- النسق والكاوس في الرواية العربية"، أين تناول فيه الناقد محمد بوعزة نسقا سرديا تمثل في روايات سليم بركات وهي: "فقهاء الظلام"، و"الريش"، و"معسكرات الأبد". مستخدما مجموعة متناغمة من المناهج والآليات التي تصب في مصب المقاربة التأويلية.

وتهدف دراستنا الموسومة بـ «تأويل المتخيل السّردي في كتاب "هيرمينوطيقا المحكي" لمحمد بوعزة: مقاربة ميتا نقدية» إلى الكشف عن منهج الناقد ومنظومة المصطلحات النّقدية التي استخدمها، وإلى كيفية توظيفهما في تأويل المتخيّل السّردي للروايات التي درسها، أين يتداخل الخيال والواقع وتتعدد المعاني، مما يفتح المجال لتعدد التأويلات من خلال استخدام الرمز والاستعارات السردية.

الكلمات المفتاحية: التأويل، المتخيل السّردي، الميتانقد، الهيرمينوطيقا، النسق، الكاوس.

Abstract:

Mohamed Bouazza is a Moroccan writer and critic, well-known for several publications and studies in the field of structural and cultural narratology. Among these works is the book: **"Hermeneutics of the Narrative - Order and Chaos in the Arabic Novel"**, in which he addressed a narrative system represented in the novels of **Selim Barakat**, namely: **"Faqahaa' al-Dhalam"**, **"Al-Reesh"** and **"Mu'askarat al-Abad"**, by employing a harmonious set of methodologies and mechanisms that converge into an interpretative approach.

This study, titled **"The Interpretation of Narrative Imagination in Mohamed Bouazza's Hermeneutics of the Narrative: A Meta-Critical Approach"**, aims to explore the critic's methodology and the system of critical terms he used, as well as how these tools are employed in interpreting the narrative imagination of the novels he analyzed. It also investigates how imagination and reality intertwine and meanings multiply, thus opening the way for multiple interpretations through the use of symbolism, metaphors, and the blending of literary genres.

Keywords: Interpretation; Narrative imagination; Metacriticism; Hermeneutics; Order; Chaos.

المؤلّف المراسل

مقدمة:

عرف النّقد الأدبي في تاريخه منعطفات عديدة، اختلفت باختلاف زاويا النظر والرؤى النقدية، فبعد أن كان المؤلف والسياق عموما هو مركز النّقد ومحوره، تغيرت البؤرة ليصبح النّص الأدبي هو المركز ليُدرَس في ذاته ولذاته، كما هو الشأن مع ما حدث على مستوى الدرس اللساني السوسيري، وهنا أصبحت موازين القوى المنهجية في صالح المناهج النسقية، ثم اتجهت زاوية النظر لتتمركز حول القارئ في اتجاهات ما بعد البنيوية، باعتباره عنصرا محوريا في العملية الإبداعية، ومشاركا فعالا في إنتاج المعنى وتشكيل الدلالة.

وتعد التأويلية من أهم هذه المناهج المتجهة نحو القارئ؛ حيث تُعنى بفهم النّص وتفسيره ابتداء بالنّصوص المقدسة، وصولاً إلى النّصوص غير المقدسة، شعرية كانت أو سّردية أو غيرها من نصوص الثقافة.

وإذا كانت لكل ممارسة نقدية طرائق منهجية ومصطلحات نقدية تميزها عن غيرها، فكيف الحال مع الناقد "محمد بوعزة" في مقاربته الموسومة بـ"هيرمينوطيقا المحكي: النسق والكاوس في الرواية العربية"[1]؟

1- التأويل؛ المصطلح والمفهوم:

ارتبط التأويل في التراث العربي بالقرآن الكريم ومحاولة فهمه وتفسير معانيه، حيث وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم سبع عشرة مرّة؛[2] وذلك بصيغ ودلالات مختلفة، أكثرها كان في سورة "يوسف"، فالتأويل في هذه السورة الكريمة جاء مرتبطاً بالرؤى والأحلام، متعلقا بالأمور التي تخفى دلالتها، وتحتاج إلى توضيح وشرح؛ «فالتأويل لم يكن مجرد تفسير للظاهر أو ترجيح لمعنى على آخر، إنه هنا داخل نص رُؤيوي حُلُمي تعبيري»[3].

والتأويل في أبسط مفاهيمه -حسب فهمنا- تفكيك لرموز وإشارات وبيان دلالاتها، فهو يرتحل بنا لكشف عالم الخيال، حيث تسكن معان لا يعلمها كثير من الناس، فهذا المفهوم يُخرج التأويل من دائرة التفسير اللّغوي البحت، لينفتح على تفسير ما يعتمل في الذوات الإنسانية التي يصعب فهمها.

وقد عرف التأويل في الثورة النقدية المعاصرة تأسيسا معرفيا ومنهجيا جديدا، متأثرا بحركة النقد الغربي، وكذلك ناهلا من المناهج النقدية الغربية، حيث حاول النقاد العرب المشتغلون في هذا المجال التركيب بين التراث العربي الزاخر -الذي أخذ ترسانته من كون التأويل بابا من أبواب فهم الدين الإسلامي الذي يأخذ مصادره من الكتاب والسنة-، وبين المناهج النقدية الغربية الحديثة، خاصة منها البينوية التي تهتم بالشكل والعلاقات بين عناصر النص، والسيمياء التي تهتم بدراسة العلامات والرموز اللغوية وغير اللغوية، إضافة إلى التفكيك الذي يبحث عن ما هو هامشي ومضمر متوارٍ عن أنظار التحليل السطحي. وهذا ما ألمحت إليه الباحثة خيرة حمر العين حينما ذهبت إلى أن بعض المحاولات التطبيقية جمعت بين السيميائيات والتفكيكية، وأضافت إليها من معين التراث النقدي[4].

وقد ارتبط التأويل في حقل الثقافة الغربية بتفسير النّصوص اللاّهوتية، حيث يشير هذا المصطلح إلى «مجموع القواعد والمعايير التي يحب اتباعها في تفسير النّصوص الدينية»[5]، فالتأويل إذا آلية لفهم النّص الديني وتفسيره وشرحه، ونجد كذلك في هذا السياق مصطلحا آخر هو "الهيرمينوطيقا" الذي يقف إلى جانب مصطلح "التأويل" وهو مصطلح مشتق من " هرمس " الذي يعتبر وسيطا بين البشر والآلهة، أي أن البشر لا يستطيعون فهم ما تقوله الآلهة مباشرة، لذلك فهم يحتاجون إلى وسيط حتى يمكّنهم من الفهم، وبذلك تظهر حاجة الناس إلى التأويل أو الهيرمينوطيقا لفهم النّصوص الدينية.

وظلت الهرمينوطيقا مرتبطة بالنّص الديني، ولم تنفصل عنه إلا مع "فريديريك شلايرماخر" (Friedrich Schleiermacher) حيث خرج هذا المصطلح على يديه من دائرة التأويل اللاّهوتي إلى دائرة التأويل المعرفي، وذلك من خلال تتبع لغة النّص، إضافة إلى محاولة فهم نفسية المؤلف والغوص في ذاته، أي أنه سعى إلى إخراج الهيرمينوطيقا من فيلولوجية خاصة إلى عامة.[6]

وقد غلّب "فيلهالم دلتاي" (Wilhelm Dilthey) الجانب النفسي على الجانب اللّغوي في النص، حيث «يأخذ الفهم عند "دلتاي" منحى علم النفس عوضاً عن فلسفة اللّغة، بالرغم من الدور المناط لتصور النّص في الانتقال من الفهم إلى التأويل».[7] وخالفه في هذا الطرح "مارتن هيدغر (Martin Heidegger) الذي يرى أن التأويل يكمن في النّص واللّغة لا في الجانب النفسي للمؤلف، فقد يحصل التأويل «بفضل تخلصه من كل بعد نفساني، من التقرّب من المسألة الرئيسية للّغة، إذ أنّ الفهم الذي يحققه الكائن بخصوص وضعيته ومشاريعه لا يمكنه أن يتضح وبالتالي يُؤول في حقل تمفصل اللّغة».[8]

وهكذا خرج التأويل من دائرة النفس إلى دائرة النّص وما تحمله اللّغة من دلالات، وهذا تماشيا مع حركة النّقد، الذي انتقل من المناهج السياقية التي تعتمد على الكاتب والمؤلف وجوانبه النفسية والتاريخية والاجتماعية، إلى المناهج النسقية التي توجه الاهتمام والدراسة إلى النّص، وإلى تمفصلات اللّغة.

ويُعرِّف "بول ريكور" (Paul Ricoeur) التأويل بأنه: «اشتغال الفهم على فك الرموز»[9]، فمن خلال هذا التعريف يوسع "بول ريكور" من مجال الفعل التأويلي ليتجاوز المجال اللساني إلى المجال السيميائي، للاشتغال على فك الرموز التي يمكن أن تكون لسانية، أو في الأشكال والصور، أو حتى في الأحلام التي تكون مليئة بالصور الرمزية، والرموز هي حقل خصب لاشتغال التأويل باعتبارها تشير إلى دلالات مختلفة ومتنوعة، تختلف باختلاف الأشخاص والأماكن والثقافات والأزمنة.

انطلاقا مما سبق، فإنه يصعب حصر مفهوم محدد للتأويل، سواء أكان في الثقافة العربية أم في الثقافة الغربية، وذلك لأنه مصطلح فضفاض، يستعمل تارة كمنهج يصعب القبض على آلياته، وتارة كأداة إجرائية، وهو منفتح على تفسير كل الأنساق التعبيرية لسانية كانت أو غير لسانية.

2- المتخيّل السّردي ومسألة المنهج النّقدي:

يكاد يُجمع النقاد والباحثون على أن الجمع بين المصطلحات في العلوم الإنسانية ليس أمرا بسيطا، كما هو الشأن مع مصطلح المتخيّل السّردي الذي يحيلنا إلى مفهومين اثنين هما: "المتخيّل" و"السّرد"؛ فـ«المتخيل حالة تثير في الموضوع الخروج عن الذّات من الذّات خلال حالة الاستغراب أو الذهول التي تنتج عن نقل العادي نحو النادر»،[10] فالمتخيّل هو ذلك الكل الذي يحتوي الجميع، يمزج بين الواقع واللاواقع، بين الكائن والممكن، وبين الممكن والمستحيل، وبين الحلم واليقظة.

وتتجلى لنا - بناء على هذا التعريف- علاقة المتخيّل بالسّرد، ليتبلور لنا مفهوم المتخيّل السّردي الذي عماده الخيال والمخيلة، تلك الملكة القادرة على صنع عوالم جديدة مركبة من أحداث واقعية وأخرى خيالية من خلال السّرد، فيصبح الخيال أداة لتشكيل الحكايات وخلق الشخصيات وتطويرها وبناء الأحداث وربط العقد وحلها.

إن هذه العلاقة تكمن في أن المتخيّل السّردي يمثل الرّكيزة الأساسية لأي عمل سردي، فبوساطة المتخيّل السّردي يمكن بناء الأعمال الأدبية، ولفهم وتحليل هذه الأعمال نحتاج إلى منهج نقدي، يقدّم آليات وإجراءات تتيح الكشف عن جمالياته وبنياته الأساسية التي يقوم عليها، وفهم أبعاده الدلالية.

ويهدف المنهج باعتباره «سلسلة العمليات المنظمة التي يهتدي بها الناقد».[11] إلى محاولة مقاربة المتخيل السردي والكشف عن بنياته ومضامينه وأنساقه، ويعمل على تحليل بنيته السّردية، وكيف تتشكل داخل النصوص والخطابات الحكائية، وذلك عن طريق تحليل مجموعة من العناصر أو ما يسمى بالمكونات؛ كالشخصيات، والأحداث، والزمان والمكان، والحبكة واللّغة، وتفكيك رموزه ومحاولة القبض على ممكناته الدلالية.

ويستمد المتخيّل السّردي قوته من خلال الجمع بين الخيال والواقع، ويضعه على طاولة السّرد، ليشكل منه عملاً أدبيا، وبهذه الميزة فهو يمتلك مجموعة من الخصائص الفريدة القادرة على تشكيل عوالم من السّرد لا حدود لها. ويمكن حصر هذه الخصائص فيما يلي:

- **إمكانية إعادة تشكيل الواقع:** يمكن للمبدع أن يتصور أحداثا وشخصيات وعوالم جديدة من خلال السّرد وأن يصوغ بطرق مختلفة ماهو واقع وكائن، للحصول على واقع جديد انطلاقا من القديم، وذلك من خلال استعادة واسترجاع الصور المخزنة في الذاكرة، وانشاء صور أخرى مغايرة لها لا تشبهها ولكن تحاكيها، «وتحدث العملية فعلها عندما تستدعي خبرات المتلقي المختزنة والمتجانسة مع معطيات الصورة المخيلة، فيتم الربط على مستوى اللاوعي من المتلقي بين الخبرات المختزنة والصور المخيلة، فتحدث الإثارة المقصودة، ويلج المتلقي إلى عالم الإيهام المرجو»[12]. فقوة المتخيل السّردي تكمن في بعث الحياة في لقطة يراها المبدع أمامه، لا تتجاوز اللّحظات، فيشكل منها نصا سرديا يتجاوز ذلك الواقع إلى حكايات جديدة، حيث «يمتلك السّرد (عبر المتخيّل السّردي) قدرة على إعادة صياغة العالم غير عابئ بإمكانية تحقق هذه الصياغة على مستوى الواقع من عدمه».[13]

- **التماهي مع الواقع:** يتماهى المتخيّل السّردي بشكل كبير مع ما هو موجود في الواقع، وأيضا يستطيع أن يصور لنا أحداثا مستوحاة من الخيال، «فالمتخيل السردي بناء فكري محض، زمرة من التهويمات في تشكيل عام، تحتاج إلى دخولها في سلك نظم واحد لتشكل نسقا محكم الأجزاء المترابطة»[14]، ممّا يضع القارئ في تجربة فريدة تجمع الواقع والخيال في تناسق بديع، تتيح له استكشاف عوالم جديدة لم يرها ولم يسمع بها من قبل، بل هي من صميم الخيال الذي قد نجد له مثيلا من الواقع.

- **خصوبة المعاني وقابلية التأويل:** المتخيّل السّردي يعيد صياغة الواقع للحصول على معان جديدة، وبالتالي فهو يفتح الباب نحو تأويلات متعددة، خاصة إذا امتزج هذا الواقع بالخيال، وكوّن لنا عالما جديدا يختلف مع هذا وذاك، من ثم ينفتح باب التأويل لإنتاج دلالات جديدة، وتوليد معاني غير محددة، يعكس نظرة القارئ لهذا المتخيّل الجديد الهجين بين الواقع والخيال، ويعكس تعقيدات النفس البشرية من خلال تأويل هذه النّصوص الأدبية، فهو «من الأنظمة الدالة التي تعبر اللسان إلى أنساق أخرى، تحتويها وتتقاطع معها بواسطة المتخيل الذي نجده يعطي للرواية أحياناً خصوصية تعرف به ويتعالى عنها أحياناً، ليكون وسيلة لإثارة أشياء غير موجودة بواسطة اللغة، أو محاكاة أشياء موجودة أو إثارة نوع من الإيهامات أو التمثلات التي تتوجه إلى أشياء وتربطها باللحظة التي تمثلتها فيها الذات»[15]، إذن فباختلاف الذات يختلف المعنى، واختلاف اللحظة يحيلنا على معاني أخرى لم تكن في حينها، فالمتخيل السّردي يفتح لنا المجال واسعا نحو تعدد المعاني، وتأويلها للقبض على دلالات جديدة تختلف باختلاف الزمان والمكان والأشخاص.

- **استخدام الرموز والاستعارات:** إنّ توظيف الرموز وتشكيل الاستعارات يُعد وسيلة من وسائل المتخيّل السّردي في الانفتاح على عوالم جديدة، هذه الأدوات تعد إضافة نوعية تساعد في خلق معان ودلالات جديدة عطفا على ما تحمله مسبقا هذه الرموز والاستعارات، «لذا يمكننا أن ندرك المتخيل السردي من خلال الصور والرموز والأساطير التي يحسن الكاتب الاشتغال بها»[16]، فعندما نتعامل مع القصص والروايات وأشكال السرد الأخرى فإننا قد نصادف عالما رمزيا فنحاول فهمه في إطار المماهاة بين عالم الخيال وعالم الواقع عبر الاستعارات التمثيلية السردية.

- **التركيز على التجربة الإنسانية:** المتخيّل السّردي له القدرة على تمثيل الواقع وتصوير المشاعر والأفكار، والغوص في أغوار النفس البشرية لفهمها، حيث "يُعدّ المتخيل السردي المختبر الحقيقي للمشاعر الإنسانية والأفكار المعقدة. فمن خلال بناء شخصيات ومواقف مُتخيلة، يتمكن الكاتب من استكشاف دواخل النفس البشرية، وعرض صراعاتها، وتجسيد آمالها وآلامها، مما يجعل القارئ يعيش هذه التجارب ويتفاعل معها كأنها حقيقية"[17]. فقد ارتبط المتخيل السّردي بالوعي منذ نشأة الأسس الفنية للعمل السّردي بمختلف أنواعه، كالرواية والقصة والمسرحية. وقد أصبح المتخيل السّردي أداة فعّالة في التعبير عن التجربة الإنسانية، من خلال

نقل التجارب والقصص ومشاركتها، حيث يسعى هذا المتخيل إلى تجاوز حدود التجربة الفردية، لينفتح على الاجتماعي والإنساني، محاولًا التأثير فيه عبر تقنيات سردية مبتكرة. تُوظف هذه لإشراك المتلقي، وجذبه إلى عالم السّرد، فـ«المتخيل السردي هو الأداة الفعالة التي يستخدمها الأديب لتصوير الطبقات الخفية من الواقع، تلك التي تتجاوز الملاحظة السطحية. إنه يسمح بتجسيد الأفكار المجردة والمشاعر الدقيقة في صيغ حسية وملموسة، مما يجعلها أكثر قربًا وتأثيرًا على المتلقي»[18]، بحيث يتفاعل هذا المتلقي معه وينجذب إلى تفاصيله وأحداثه. وبذلك، يصبح المتخيل السّردي وسيلة لإيصال الأفكار والمشاعر، وتعميق فهم التجربة الإنسانية.

- **المتخيل السردي عابر للأجناس الأدبية:** لا يمكن حصر المتخيّل السّردي في جنس أو نوع أدبي واحد، بل نجده في جميع الأجناس والأنواع الأدبية، في الشعر والمسرح والرواية والقصة وغيرها. هذا التداخل يمنحه طابعه المميز، ويجعله عابرا للأجناس وللأنواع الأدبية. ذلك أنه «مجموعة العناصر السردية التي تتجاوز الواقع، وتسعى إلى خلق عالم سردي رمزي أو مجازي.»[19]، السرد الذي يدخل في جميع الأجناس الأدبية، الرواية والقصة والمسرح وحتى الشعر الذي أصبح يستنجد بالسرد ليمجد بطولات ويحكي أمجادا، ويصف حروبا، كما في الإلياذة وشعر الملاحم.

وفي الختام، فإن قوة المتخيّل السّردي تنبع من كونه ينغمس في الخيال ويسمو على الواقع ليجمع بينهما، فيخلق بذلك عملا حكائيا معقدا وغنيا بالدلالات، فهو تجربة تحاكي النفس البشرية بكل تعقيداتها وتفتح الأبواب للتفكير والتأمل والتأويل.

3ـ المتخيّل السّردي والفعل التأويلي:

تُعتبَر العلاقة بين المتخيّل السّردي والفعل التأويلي متداخلة وعميقة، حيث إنّ كلا منهما يعد عنصرا أساسيا في عملية فهم وتحليل وتفسير النّصوص الحكائية، فالمتخيّل يعد رافدا أساسيا في تزويد النّصوص الحكائية بما تحتاجه من أحداث وعقد وشخصيات وأمكنة وأزمنة، سواء كانت واقعية أو من نسج الخيال، والفعل التأويلي يعد استراتيجية أساسية في عملية فهم النّصوص وتفسيرها، ويمكن تحديد العلاقة بين المتخيّل السّردي والتأويل في النقاط الآتية:

- **التأويل باعتباره استراتيجية لفهم النّصوص الأدبية:** عملية تأويل النص ليست مجرد قراءة سطحية، بل هي فعل واعٍ ومنظم وممنهج، يهدف إلى الكشف عن المعاني العميقة من خلال الحفر في الطبقات المتعددة للنص، وفهم العلاقات بين أجزائه، وكيف يتفاعل مع السياقات المختلفة. إنه سعي لإعادة بناء المعنى المحتمل الذي قصده المؤلف أو المعاني التي يمكن أن ينتجها النص في تلقي القارئ، وفي هذا المعنى يقول نصر حامد أبو زيد: «إن النص ليس كياناً مغلقاً يمتلك معناه ذاتياً، بل هو كيان مفتوح، يكتسب معناه عبر عملية تفاعلية مع القارئ والسياق التأويلي..»[20]، فالنص الأدبي مفتوح على تأويل القارئ من خلال استراتيجياته التأويلية فيساهم في بناء معناه، مما يعزز فكرة أن التأويل استراتيجية ضرورية.

وإذا كان هذا الحال مع تأويل النص الأدبي عموما فهو مع المتخيل السردي أكثر وضوحا وأشد ضرورة، بما يحمله من عناصر متداخلة بين الواقع والخيال، حيث يتيح للقارئ التعرف على معان متعددة للعمل الحكائي، فـ«ليس التأويل قراءة ثانية، بل هو القراءة التي تكشف عن تعدد المعنى، وتستحضر غياب المعنى الواحد النهائي.»[21]، وبذلك فهو يشحن المردود القرائي ليغني دلالات النّص، ويركز كيليطو على أن التأويل استراتيجية لكسر وهم المعنى الوحيد، وكشف ثراء النص وتعدديته، مما يجعله أداة أساسية لفهم النصوص الأدبية، فـ« التأويل ليس مجرد فهم لما يقال، بل هو فهم للكيفية التي قيل بها، ولما لم يقل، وللأبعاد الكامنة خلف السطح اللغوي.»[22]، بهذا يصبح التأويل استراتيجية تحليلية عميقة تتجاوز المعنى الظاهر، وتكشف عن الخبايا والأبعاد غير المصرح بها، فهو ليس مجرد قراءة عابرة، بل هو استراتيجية منهجية وضرورية لفهم النصوص الأدبية بعمق، والكشف عن تعقيداتها، ومعانيها المتعددة، ودور القارئ في إحيائها.

- **التأويل المتعدد للمعاني:** المتخيّل السّردي يستطيع بناء نصوص مثقلة بالمعاني والدلالات مما يجعل أيضا عمليه تأويل هذه النّصوص مختلفة ومتعددة، تختلف باختلاف الشخص وباختلاف الظروف المحيطة، وباختلاف التجربة الإنسانية، فـ«التأويل ليس مجرد استخلاص لمعنى جاهز كامن في النص، وإنما هو فعل إبداعي يسهم في إنتاج المعنى، وهذا المعنى ليس واحدًا أبدًا، بل يتعدد بتعدد القراءات والسياقات»[23]، وبهذا يصبح التأويل مرنا وديناميكيا ومتغيرا، وهذا يعكس طبيعة المتخيّل السّردي باعتباره فضاءً واسعا ومفتوحا.

ومنه نستنتج أن علاقة الفعل التأويلي بالمتخيّل السّردي هي علاقة تفاعلية وديناميكية، تهدف إلى فهم هذا الأخير، والبحث عن الدلالات الممكنة والمتجددة التي لا تقف عند ظاهره وسطحه وخصوصيته، بل تتجاوزه إلى التجربة الإنسانية الخاصة بكل فرد.

4- تأويل المتخيّل السّردي عند محمد بوعزة

يركز "محمد بوعزة" في كتابه: "هيرمينوطيقا المحكي: النسق والكاوس في الرواية العربية" على علاقة التأويل كاستراتيجية نقدية بالمتخيّل السّردي، الذي يشكل عوالم مختلفة تجمع بين الخيال والواقع، ليشكل لنا نصوصا سردية تعكس تجارب الذّات وتاريخها. ويظهر ذلك جليا في اختياره روايات "سليم بركات" لأنه يريد «التعرف على منطق اشتغال الدلالة فيها وأنساقها التخيلية والمعرفية»[24]، فالروايات التي اختارها "محمد بوعزة" هي روايات غنية بالخيال الممتزج بالواقع، وهذا كان الدّافع الرئيسي للاشتغال عليها والبحث في دلالاتها.

اعتمد "محمد بوعزة" في بحثه في الدلالة ومنطق اشتغالها على الاستراتيجية الهيرمينوطيقية، التي سعى من خلالها إلى تطوير آليات تُخرج التحليل السّردي من الأطر البنيوية التقليدية، ليقدم تصورا معرفيا يدمج بين السّرد والثقافة والتاريخ، ممّا يسهم في فهم كيفية تداخل الهوية مع الأبعاد الزمنية والمكانية في النّصوص السّردية.

تناول "محمد بوعزة" مبحث الدلالة من البنيوية الى السيميائية، وتحدث عن الجمع بينهما، لأن «تداخل مستويات القصة والخطاب في المحكي أجبر الباحثين على إدماج اتجاهين أو على الأقل المزاوجة بين مفاهيم ومستويات تنتمي لهما معا»[25]، ثم في نسق تطوري ينفتح على العلوم الإنسانيه الحديثة خاصة الأنثروبولوجيا، العلم الذي يدرس سلوكيات الإنسان وتفاعلاته مع بيئته، إلى جانب أعمال "بول ريكور" الذي «يجمع بين الهيرمينوطيقا والأنثروبولوجيا الفلسفية والفينومينولوجيا»[26].

1-4- العدة المنهجية التأويلية لمحمد بوعزة في كتابه هيرمينوطيقا المحكي:

يتضح من خلال المدونة النقدية محل اشتغال هذا المقال أن صاحبها "محمد بوعزة" يسعى إلى تجاوز المقاربات البنيوية المحدودة في عملية تحليل المتخيل السّردي، حيث يسعى إلى توسيع الآفاق القرائية من خلال استخدام مصطلحات وإجراءات تنتمي لأكثر من منهج، فهو يدمج بين الهيرمينوطيقا والبنيوية والسيميائية والنّقد المعرفي، وكذلك مناهج ما بعد البنيوية، وكما يظهر جليا من خلال العنوان؛ فلفظتا النسق والكاوس هما مصطلحان ينتميان إلى "نظرية العماء"، كما نجد مصطلحات خاصة بالتفكيك والسوسيولسانيات، وهو ما يشي بأن الناقد "محمد بوعزة" شكّل رؤيته النقدية التأويلية على تعددية منهجية حاول الاشتغال عليها من أجل مقاربة رصينة للمدونة السّردية التي اعتمدها للدراسة، وهذا بيانه:

أ- **البنيوية:** تستند هذه الدراسة التي أجراها الناقد "محمد بوعزة" على روايات "سليم بركات"، على المكونات البنيوية للنص السّردي، وهي تعتمد على فكرة أن النّص بنية دلالية تتكون من عناصر مترابطة، وتتفاعل هذه العناصر مع بعضها بعضا لخلق معنى، وقد عمد الناقد لتكون البداية دراسةً وصفية، قبل أن ينتقل إلى دراسة المعنى وتأويله، حيث يشير إلى أن «الشكل هو نقطة الارتكاز التي دونها لا يتأتى ولوج فضاء الرواية»[27]، حيث يصرح أن المدخل في دراسة الرواية وفضائها يمر عبر دراسة الشكل الذي يعد ركيزة أساسية في دراسة أي رواية، وقد استنجد الباحث بالمنهج البنيوي ليحدد مسار مقاربته وأولوياتها في تحليل النص الروائي، مع التأكيد على أن هذا الافتراض لا يعني استبعاد الأنساق الأخرى. وفي هذا يقول الناقد: «وإذا كنا نعتقد أن الشكل هو نقطة الارتكاز التي دونها لا يتأتى ولوج فضاء الرواية بمختلف أبعادها الإيديولوجية والرمزية، فإن هذا الافتراض البنيوي لا يعني استبعاد هذه الأنساق بقدر ما يحدد مسار المقاربة وأولوياته»[28].

ب- **الهيرمينوطيقا:** إنّ وضع هذا المصطلح ونقصد به الهيرمينوطيقا في صدارة عنوان كتابه النقدي " هيرمينوطيقا المحكي" يشير بشكل واضح إلى نيّة الناقد "محمد بوعزة" في الاعتماد عليه كركيزة أساسية للاشتغال والمقاربة، ويوضح كذلك رغبة الناقد في تجاوز الشكل والوصف النسقي إلى البحث عن المعنى، فالهيرمينوطيقا تسعى إلى التفسير المُؤسس على الفهم، وإلى الفهم المؤسس على التفسير في آن، وتجاوز وصف النّص، لتبحث عن عملية فهم المعنى، وكيف تشكّل هذا المعنى، وكيف تم تأويله من طرف القارئ، يقول "محمد بوعزة": «على صعيد

بناء المعرفة الدلالية تؤسس السردية أفقاً تأويلياً للفهم يتخطى مناطق اشتغال العقل المقيد بحدوده الإبستيمولوجية وإكراهاته النظرية، سواء على مستوى الموضوعات أو على مستوى الأدوات والمفاهيم»[29]، فالأفق التأويلي يتخطى القيود المعرفية والنظرية التي تكبح العقل البشري، والتي قد تحد من فهمه على مستوى الموضوعات أو الأدوات والمفاهيم.

وهكذا استثمر الناقد الهيرمينوطيقا كأساس لنموذجه المعرفي الذي يستلهمه في فهم السرد. فالنموذج المعرفي للناقد، الذي ينظر إلى السردية كنموذج للصياغة الذاتية وللعالم، يؤسس فرضياته على إنجازات الهيرمينوطيقا، بالإضافة إلى نظرية الفوضى (العماء) والأنثروبولوجيا الأدبية والمعرفية، وفي هذا يقول الناقد: «ينظر هذا النموذج المعرفي الذي نستلهمه إلى السردية كأنموذج للصياغة الذاتية للذات وللعالم، ويؤسس فرضياته على إنجازات الهيرمينوطيقا ونظرية العماء والأنثروبولوجية الأدبية والمعرفية»[30].

ج- **نظرية العماء:** نظرية العماء هي نظرية نقدية تعتمد على البحث في مواطن الغموض والتشويش في الأعمال الأدبية، بحيث لا يظهر فيها معنى واضح، وإنما تعتمد على الإبهام والتشظي والهدم، وذلك محاولة منها لاستخلاص قراءات غير متوقعة.

وقد وظف الناقد محمد بوعزة مفهوم "الكاوس" أو ما يسمى بالعماء كجزء من الأساس النظري لنموذجه المعرفي في تحليل السرد، واستخدم "النسق" للإشارة إلى الترتيبات المنظمة والقوانين الكلية في السرد، وكذلك للإشارة إلى الأنظمة الدلالية والمعرفية والثقافية. كما استخدم نظرية العماء كأحد المرتكزات التي يبني عليها نموذجه المعرفي في فهم السرد. فالنموذج المعرفي للمؤلف، الذي ينظر إلى السردية كنموذج للصياغة الذاتية وللعالم، يؤسس فرضياته على إنجازات نظرية العماء، بالإضافة إلى الهيرمينوطيقا والأنثروبولوجيا الأدبية والمعرفية.، وهذا ما يدلل عليه المقبوس السابق من المدونة.

وتستخدم نظرية العماء مجموعة من التقنيات مثل «الإيحاء والإضمار والمفارقة والسخرية والصدمة والغموض والتشظي والهدم البنيوي، لتخلق تجربة قرائية مغايرة وغير متوقعة»،[31] ويحتل مصطلحا "الكاوس" و"النسق" مكانة أساسية في كتاب "محمد بوعزة "، حيث يشكلان ثنائية متضادة ومتلازمة، فالنسق يحيل على النظام والتماسك والانسجام الموضوعي واحترام التقاليد السّردية التي جرى استخدامها، في حين يحيل مصطلح "الكاوس" على اللاّنظام والاضطراب وعدم اليقين والغموض والتعقيد. ولعل اختيار الكاتب لهذين المصطلحين المتناقضين راجع إلى المدونة التي اختارها للاشتغال عليها، حيث إن روايات " سليم بركات" تطغى عليها سمة العجائبية والغرائبية والسيريالية.

د- **ما بعد البنيوية:** يتضح جليا من خلال هذا الكتاب اهتمام محمد بوعزة بالمناهج ما بعد البنيوية، حيث يسعى إلى تفكيك المعنى واكتشاف الأنساق الظاهرة والمضمرة داخل الأعمال الأدبية، كما أن استعماله لمصطلحات

"التفكيك" و"الهامش" و"اللاّنظام" تعبر عن توجهاته لتحليل كيفية تشكل النّصوص في سياقات متعددة ومعقدة وغير متجانسة. «قد رأينا، كيف أن نظريات ما بعد البنيوية، خاصة التفكيكية، نهضت ضد مبدأ الصورنة، لتحرير ظواهر الاختلاف والتعدد والمغايرة والأثر من المكبوت البنيوي. وأعلنت صعود نجم الهامش والملحق على حساب أنقاض أسطورة النسق والمركز.»[32].

هـ- السيميوطيقا: يجد المتتبع لدراسة "محمد بوعزة" مصطلحات خاصة بالسيميوطيقا، مثل: "الترميز" و"الرموز"، وذلك للتعبير عما يمكن أن تحمله الرموز والعلامات من دلالات وإيحاءات مختلفة ومتنوعة، وإلى ما تستطيع الإشارة إليه، كما يشير صراحة إلى «هذا النموذج النظري الذي يدمج بعض مفاهيم السيميوطيقا في محتوى اجتماعي»[33]، كما ركّز على تحليل العلاقات بين العلامات والرموز في النّصوص الروائية لـ"سليم بركات"، وفي هذا يقول: «السيميوطيقا السردية: يهتم هذا الاتجاه بسردية القصة من خلال التركيز على مستوى المحتوى، لتحديد التمفصلات الدلالية التي تتحكم في البنيات السردية»[34]، وهو بهذا يتجاوز مستوى السطح إلى مستوى العمق، لتحديد العناصر الأساسية التي تشكل البنى السردية وتتحكم في كيفية تلقي القارئ للمعنى، ومن خلال تحليل كيفية تنظيم العناصر السردية وكيفية تأثير ذلك على تجربة القارئ.

و- النّقد المعرفي: يناقش الناقد في هذه الدراسة علاقة النّص الروائي بالعالم، حيث يصرح قائلا: «يشكل المنظور المعرفي - بالنسبة لنا - المرتكز الأساس للصياغة في قراءة متن سليم بركات. ينهض هذا النموذج على اعتبار السّردية أنموذجا للذاتية وصياغة العالم، ومن ثمّة تتحدد مهمته في كشف الدور التشييدي للسّردية في صياغة أنساق الفهم وإنتاج المعرفة بالذات، والمحيط، للتفاعل مع العالم من أجل تحقيق سبل مشروع الذات»[35]، ويستخدم مصطلحات من النّقد المعرفي، مثل "التخييل" و"العقل" و"المعرفة"، لتحليل كيف تؤثر العوامل المعرفية في إنتاج معنى النّصوص، وكيف يؤثر هذا المعنى على القارئ.

مما سبق نستنتج أن الناقد "محمد بوعزة" في كتابه "هيرمينوطيقا المحكي" سعى إلى تجاوز المقاربات البنيوية المحدودة في تحليل المتخيل السّردي، وذلك من خلال تبني منظور أوسع يدمج مفاهيم من الهيرمينوطيقا، والنظرية المعرفية، ويهدف إلى تقديم تصور معرفي يضع السّرد ضمن أنساق شاملة: معرفية وثقافية وتأويلية، تتجاوز البعد البنيوي المحدود، كما سعى إلى فهم منطق اشتغال الدلالة والأنساق التخيلية والمعرفية داخل النّص السّردي.

فتصدرُ مصطلحِ "هيرمينوطيقا" عنوانَ الكتاب يشير بوضوح إلى الأهمية المركزية لفهم المعنى وتفسيره في منهجه، فالهيرمينوطيقا، بوصفها نظرية للتفسير، تتجاوز مجرد الوصف البنيوي للنص لتنخرط في عملية فهم كيفية بناء المعنى وكيفية تأويله من قبل القارئ.

2-4- المصطلحات الإجرائية الأساسية في "هيرمينوطيقا المحكي":

اعتمد الناقد "محمد بوعزة" في مقاربة ثنائية النسق والكاوس (الفوضى والعماء) في روايات "سليم بركات" -ضمن مقاربته الهيرمينوطيقية- على مجموعة من المصطلحات لتكون بمثابة أدوات إجرائية تيسر له مبتغاه من هذه المقاربة، وأهم هذه المصطلحات هي:

أ- **هيرمينوطيقا المحكي:** يعتبر هذا المصطلح الإطار المركزي أو البؤرة التي ينطلق منها "محمد بوعزة" في مقاربته للمتن الروائي لـ"سليم بركات"، حيث ركز على فهم المعاني والدلالات العميقة وذلك للكشف عن المعنى داخل السّرد، مع الأخذ في الاعتبار بنيته الداخلية وسياقاته الخارجية، وهذا ما أعلن عنه الناقد قائلا: «تسعى هيرمينوطيقا المحكي إلى مساءلة النص السردي، والكشف عن البنية العميقة للمعنى»[36]،كما نجده يشير إلى هذا المصطلح في مواضع أخرى من المدونة من قبيل قوله: « تتأسس هيرمينوطيقا المحكي على فكرة أن كل حكاية تحمل في طياتها إمكانية لتعدد القراءات والمعاني»[37]، كما أشار اليه في قوله «إن هيرمينوطيقا المحكي ترفض القراءة الأحادية للنص، وتدعو إلى الانفتاح على تعددية التأويلات»[38].

ب- **النسق:** يحيل مصطلح النسق على مصطلح مجاور وهو مصطلح البنية، وهما مصطلحان يشيان بالانتظام والانضباط، يقول الناقد: «النسق المحكي ليس بنية ثابتة، بل هو فضاء ديناميكي تتحرك فيه الدلالات وتتشكل فيه المعاني باستمرار»[39]، والمقصود به الدراسة التي قدمها الناقد تلك المنظومة والأنماط والمبادئ الأساسية التي تشكل الكون السّردي، يمكن أن يتجلى هذا على مستويات مختلفة من السّرد، بما في ذلك الحبكة، وعلاقات الشخصيات، والبنية الزمكانية، والتصور الموضوعي، والأنماط اللغوية، و«تتبدى أهمية النسق في كونه الإطار الذي تنتظم داخله العناصر السردية، وتتشكل من خلاله العلاقات بين الشخصيات والأحداث»[40].

ج- **الكاوس:** يمثل مصطلح الكاوس في عمل "محمد بوعزة" - كما سبق بيانه- عناصر اللايقين والاضطراب والغموض داخل النّص السّردي، التي تتحدى أو تنحرف عن الأنساق المستقرة، ومن خلال إدخال الكاوس، يصبح النص السردي أكثر ديناميكية، ويتطلب من القارئ مشاركة أكبر في بناء المعنى، وقد يؤدي إلى قراءات غير تقليدية أو غير متوقعة، هو أشبه بالبحث عن نظام جديد أو معنى عميق داخل ما يبدو فوضى ظاهرة، و«يظهر الكاوس في السرد حينما تتفكك البنية التقليدية للأحداث، ويصبح الزمن متشظياً، فتتشابك الأصوات وتضطرب العلاقات»[41]، كما يبين الناقد علاقة الكاوس بالسرد من خلال قوله: «الكاوس السردي يتيح للنص أن يعبر عن تعقيد الواقع وتعدد مستوياته، فيصير السرد فضاءً للفوضى المنظمة»[42]، فعدم الاستقرار في السرد يضفي عليه نوعا من الضبابية وعدم الفهم، مما يجعل القارئ يغوص في هذا السرد محاولا كشف كنهه، محاولا امتطاء الواقع ليصل إلى الخيال، وهنا تنتفي الحدود بينها ليصبح المستحيل ممكنا، والخيال واقعا، فـ«من خلال الكاوس، ينجح الكاتب في نقل القارئ إلى عالم غير مستقر، حيث تختفي الحدود بين الحقيقة والخيال».[43]

د- **التأويل:** يعد التأويل، كما يوحي عنوان الكتاب، مصطلحًا إجرائيًا مركزيًا في هذه المقاربة، حيث يعتمد "محمد بوعزة" استراتيجيات مختلفة للتأويل، ويؤكد دوره في فهم معنى السّرد، يقول الناقد: «إن التأويل في هيرمينوطيقا المحكي لا يقتصر على استخراج المعنى الظاهر، بل يتعداه إلى استنطاق المسكوت عنه في النص»[44]، وفي إطار مناقشة الناقد السّرد التاريخي كاستراتيجية تأويلية ثانية تعتمد على آليات الأطر والسيناريوهات والخطاطات، يقول: «تتعدد إمكانيات التأويل بتعدد القراء واختلاف أفق توقعاتهم، فالنص السردي يظل مفتوحاً على احتمالات لا نهائية من الفهم»[45]، ومع تعدد الفهم بتعدد التأويلات وبتعدد القراءات تصبح هذه العملية لانهائية تتجدد مع كل قارئ ومع كل قراءة؛ فـ«عملية التأويل ليست نهائية، بل هي سيرورة مستمرة تتجدد مع كل قراءة».[46]

هـ- **المتخيّل السّردي:** وظف الناقد هذا المصطلح ليشير إلى كون الشيء سردًا، ويشمل العناصر والمبادئ التي تشكل عملية سرد المحكيات، إذ يعتبر "بوعزة" السّردية نموذجًا للصياغة الذاتية وصياغة العالم، ونتلمس ذلك في قوله: «إن المتخيّل السردي لا يتأسس إلا من خلال التفاعل بين التجربة الذاتية والذاكرة الجماعية، حيث يصبح السرد مجالاً لإنتاج رموز جديدة»[47]. ثم يشير إلى رحابة المتخيل السردي كونه مجالا خصبا لتعدد التأويلات، حيث يستطيع القارئ صنع عالمه الخاص انطلاقا من تأويله الخاص المبني على تجربته الإنسانية ورؤاه الداخلية، يقول: «يُعد المتخيّل السردي أفقاً مفتوحاً على إمكانيات لا نهائية من التأويل، إذ تتداخل فيه الذوات وتتصارع فيه الرؤى»،[48] كما يشير إلى قدرة المتخيل السردي على خلق العوالم وذلك بدمج الأزمنة والأمكنة، ومن هنا تأتي القوة الحقيقية للمتخيل السردي فـ«المتخيّل السردي ليس مجرد بناء لغوي، بل هو فضاء تتقاطع فيه الأزمنة والأمكنة، وتتشكل فيه الهويات»[49].

فمن خلال ما سبق من إحصاء للمصطلحات المفتاحية في الدراسة التي قدمها "محمد بوعزة" يتبين صلتها الوثيقة بالعدة المنهجية للناقد وهذا مؤشر واضح على الانضباط المنهجي الذي تميزت به هذه المقاربة الجادة في إطار الأفق التأويلي الذي رسمه الناقد.

3-4- مدارات التأويل في كتاب هيرمينوطيقا المحكي:

يقارب الناقد محمد بوعزة في كتابه "هيرمينوطيقا المحكي" ثلاث روايات للكاتب السوري الكردي "سليم بركات"، وهي روايات تجمع بين الواقع والخيال، المألوف والغريب، وقد اعتمد في تحليله على الأفق التأويلي الذي يستند إلى الهيرمينوطيقا في بعدها ما بعد الحداثي، وذلك للكشف عن المعاني والدلالات المتعددة الكامنة في هذه الروايات.

يسعى الناقد من خلال التأويل الذي يقارب النسق والكاوس والسياقات الثقافية المختلفة بالإضافة إلى الجماليات الفنية، إلى استكشاف واستنباط المعاني والدلالات التي تزخر بها هذه الروايات؛ ففي تحليله للمدونة الروائية لـ"سليم بركات"، يقف الناقد "محمد بوعزة" عند كل رواية على حدة، بحيث يستنبط منها مجموعة من المعاني بناءً على مدارات التأويل التي يشتغل عليها، ففي رواية "الريش" التي تجمع بين الواقعي والعجائبي، ينبهنا

محمد بوعزة أنه «لا يركز على طابعها الوقائعي والتوثيقي، بل على طابعها الفجائعي».[50] وهذا يُحيلنا على التأويل الكاوسي، الذي يُعبّر عن حدود القدرة البشرية في مواجهة الأنظمة المعقدة، خاصة وأن الرواية تعالج القضية الكردية التي تعرّض أصحابها -على حد قولهم- إلى ظلم كبير، ويذهب "محمد بوعزة" في تأويلاته لرواية "الريش" إلى أنها تنحو منحى ميثولوجيًا، «وهذا ما يجعلها ترشح بدلالات ميثولوجية»،[51] ولهذا يُؤوّل النّص تأويلًا ثقافيًا يعالج المسألة الكردية وقضية الشعب الكردي.

أما في قراءته رواية "معسكرات للأبد" فإن الناقد يرى أنها تنضبط وفق نسقين مهمين، هما: "النسق الواقعي"، الذي يحيل إلى النظام والمألوف وعدم الغرابة، و"النسق الغرائبي" الذي يحيل إلى الكاوس، وهنا تتأسس الثنائية التي اختارها الكاتب في العنوان الفرعي لكتابه "النسق والكاوس"، أي أن هناك دائمًا ثنائية ضدية تميز روايات "سليم بركات"، وهذا ما يجعلها رواية ذات طابع سجالي درامي.

ويسجل الناقد "محمد بوعزة" كذلك ملاحظة لافتة، وهي أنه في هذه الرواية هنالك اختزال للشخصيات والمكان، وهو ما يفسره نسقيًا بأنه إبعاد لكل نموذج جاهز ونفي لكل إسقاط مباشر لأحداث الرواية ومتعلقاتها البنيوية بالواقع، وهذا لتحافظ الرواية على طابعها العجائبي والغرائبي، وتبتعد عن سلطة المرجع والإحالة، يقول في هذا الشأن: «يُفشل هذا التقليص كل مشروع لاختزال الشخصية في نموذج اجتماعي جاهز، كما يُفشل في محاولة لربط النّص بالواقع مباشرة».[52]

ويفسر الناقد استخدام بعض الكلمات التي تبدو في ظاهرها بسيطة، مثل "الهضبة" للدلالة على المكان الروائي، بأنه يعكس انتفاء الحدود بين العوالم، أين يظهر مزج عجيب بين الخيال والواقع، بين المألوف والغريب، وبين العادي وغير المتوقع، مما يضفي بُعدًا جماليًا، يجعل القارئ يستجيب حسيًا وعاطفيًا، ويعيش التجربة الإنسانية بكل جوارحه وتفاعله، وهو ما عبر عنه الناقد بجمالية "اللامتوقع"[53].

كما يؤول بعض الأساليب البلاغية تأويلا دلاليا، يتساوق مع السمة العجائبية للرواية محل التأويل؛ حيث تحيل اللغة الروائية إلى مستويات متعددة، و«تعمل هذه الأساليب في اتجاه بلاغي يشوش على النسق الواقعي، وينزع عنه طابع الألفة»[54].

ويؤكد الناقد "محمد بوعزة" مجددا على أنه في روايات "سليم بركات"، تحضر القضية الكردية دائمًا بقوة، ولكن الكاتب لا يصرح بذلك، ولكن يعطي إشارات تلميحية، وهي إشارات تعج بها هذه الروايات، وأمر تأويلها يعود للقارئ ليربط بينها وبين الواقع، كأن تؤول تأويلا تاريخيا من أجل فهم بعض السياقات، وكذلك تأويلا ثقافيا للتعرف على هوية شعب بأكمله، يتقاسم قضية مشتركة تهم كل فصائل مكوناته، حيث «تتخذ الحمولات التاريخية المبثوثة في نسيج المحكي من المأساة الكردية مرجعًا لها»[55].

ويتكئ الناقد في التأويل الميتافيزيقي للمتخيل السّردي في المدونات الروائية التي قاربها على اختيار الكاتب "سليم بركات" الشخصيات والحوارات الدائرة بينها، فهي حوارات «ذات مضمون ديني وميتافيزيقي، ذلك أن تدخلات الكاتب وتأويلاته تسمح بتحفيز هذه الرمزية الميتافيزيقية في نسيج النّص»[56]. ويتجاوز هذا التأويل فهم الطبيعة والواقع والوجود إلى عالم جديد وغريب، يمتزج فيه عالم الغيب بعالم الشهادة، ويتعمق في أغوار النفس البشرية باحثًا عن أسئلة وجودية تتحدى عالمه الواقعي وعقله البشري. فهو يسعى إلى فهم الأسئلة التي تتجاوز حدود التجربة الحسية، فيلجأ إلى التأويل الميتافيزيقي حين يعجز العقل عن تقديم إجابات منطقية لما يحيط بنا من أحداث.

من خلال استعراض مدارات التأويل التي اشتغل عليها الناقد محمد بوعزة بناء على المعطيات الحدثية والدلالية التي تمنحها له المدونات المدروسة في إطار تجربته التأويلية، نستنتج ما يلي:

- ✓ التأويل النسقي يتم بالتركيز على بنية النّص الداخلية وعلاقات عناصره، ونجده في الروايات على شكل تكرار نمط الشخصيات المأزقية في المتاهة.
- ✓ التأويل الكاوسي يظهر في استكشاف العناصر الفوضوية وغير المنتظمة، التفكك، الغموض، عكَسَه استقطاب عناصر الجنون والهذيان والشك والحلم في الروايات محل الدراسة.
- ✓ التأويل الثقافي من خلال ربط النّص بسياقاته الثقافية والاجتماعية والتاريخية، وظهر في الروايات عن طريق توظيف الميثولوجي والماورائي، وإثارة أسئلة الوجود.
- ✓ التأويل الجمالي الذي يتجلى في تحليل العناصر الفنية والأسلوبية، وكان في الروايات على شكل دراسة جمالية تمزج بين الواقعي والتخييلي، وتوظيف الخارق والعجيب، تأكيد لسمة العجائبية التي تطغى على روايات سليم بركات.
- ✓ التأويل الدلالي ظهر في الكشف عن المعاني والدلالات المتعددة، وهذا ما عكسته النزعة التأملية في مصائر الكائنات.

خاتمة:

اشتغل "محمد بوعزة" في كتابه "هيرمينوطيقا المحكي: النسق والكاوس في الرواية العربية" على مجموعة من المصطلحات الإجرائية الأساسية مثل الهيرمينوطيقا والنسق والكاوس، والتأويل والمتخيّل السّردي، وذلك من أجل خلق توليفة منهجية تمكّنه من تحليل الروايات المختارة، والبحث عن الدلالات والمعاني المخبوءة، وهو بذلك يقدم إطارا تأويليا للقيام بعملية تحليلية شاملة وممكنة للمتخيل السّردي، بعيدا عن المقاربات البينوية التقليدية، ومتجاوزا المناهج المتبعة في عملية مقاربة الروايات والسّرد.

وقد ركّب في منهجيته الهيرمينوطيقية بين مجموعة من الرؤى المنهجية التي رآها كفيلة، إن هي تضافرت، بتشكيل استراتيجية قرائية فعّالة في استكناه مكبوتات ومخبوءات النّصوص السّردية "لسليم بركات"، أو غيرها من المدونات السّردية الأخرى، شريطة أن تكون ذات بعد رمزي.

وقد كشفت هذه المقاربة التأويلية للمدونة الثلاثية للروائي "سليم بركات" عن دلالات سياسية تجعل من القضية الكردية مدار المتخيل السّردي على الرغم من أنه ينحو منحى عجائبيا في أحداثه.

الهوامش والإحالات:

1- محمد بوعزة(2007)، هيرمينوطيقا المحكي: النسق والكاوس في الرواية العربية، دار الانتشار العربي، ط1، بيروت لبنان.

2- عبد الغني بارة(2008)، الهرمينوطيقا والفلسفة: نحو مشروع عقل تأويلي، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، ط 01، الجزائر العاصمة، ص 136.

3- المرجع نفسه، ص 136.

4 خيرة حمر العين، الشعرية وانفتاح النصوص، تعددية الدلالة ولا نهائية التأويل، مجلة خطاب، ع ،6، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري - تيزي وزو ، جانفي 2010، ص، ص: 22، 23.

5- نصر حامد أبو زيد(2006)، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط 04، الدار البيضاء، المغرب، ص 32.

6- عادل مصطفى(2018)، فهم الفهم مدخل إلى الهيرمينوطيقا: نظرية التأويل من أفلا طون إلى جادامير، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ص 72.

7- نبيهة قارة(1998)، الفلسفة والتأويل، دار الطليعة للطباعة والنشر،ط1، بيروت، لبنان، ص 9.

8- المرجع نفسه، ص 9.

9- عمارة ناصر(2007)، اللغة والتأويل: مقاربات في الهيرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، الدار العربية للعلوم،ط1، الجزائر العاصمة، ص 76.

10- آمنة بلعلي(2011)، المتخيل في الرواية الجزائرية: من المتماثل إلى المختلف، ط2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ص 18.

11- عبد الله إبراهيم (1990)، المتخيل السردي (مقاربات في التناص والرؤى والدلالة)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ص5.

12- جابر عصفور(1982)، مفهوم الشعر: دراسة في التراث النقدي، المركز العربي للثقافة والعلوم، القاهرة، مصر، ص58 .

13- محمود الضبع، المتخيل السردي وأسئلة ما بعد الحداثة، مجلة دبي الثقافية، الإصدار 77، فبراير 2013، ص251.

14- المرجع نفسه، ص 212.

15- آمنة بلعلى(2011)،المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، ط2، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزوزو الجزائر، ص18.

16- آمنة بلعلى(2011)، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، ص 17.

17- سعيد يقطين(2000)، تحليل الخطاب الروائي: الزمن السردي في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ص 98.

18- جيرار جينيت(1997)، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ص 72.

19- محمد الباز(2020)، الرواية العربية وقضايا الحداثة، ظ1، دار صفصافة، القاهرة، مصر، ص200.

20- نصر حامد أبو زيد(1990)، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت/الدار البيضاء، ص 25.

21- عبد الفتاح كيليطو(1988)، .الحكاية والتأويل .دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، ص 15.

22- صلاح فضل (1987)، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط 1،دار الشروق، القاهرة، ص 80.

23- نصر حامد أبو زيد(1990)، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ص 30.

24- محمد بوعزة، هيرمينوطيقا المحكي: النسق والكاوس في الرواية العربية، ص 17.

25- المصدر نفسه، ص23.

26- المصدر نفسه، ص27.

27- المصدر نفسه، ص.17.

28- المصدر نفسه، ص17.

29- المصدر نفسه، ص44.

30- المصدر نفسه، ص39.

31- ينظر: سعيدي عبد الفتاح، البعد الاجتماعي لنظرية الكاوس، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 18، مارس 2015.

32- محمد بوعزة، هيرمينوطيقا المحكي: النسق والكاوس في الرواية العربية، ، ص46

33- المصدر نفسه، ، ص 73.

34- المصدر نفسه، ص30.

35- المصدر نفسه، ص20.

36 -المصدر نفسه، ص5.

37- المصدر نفسه، ص18.

38- المصدر نفسه، ص27.

39- المصدر نفسه، ض19.

40- المصدر نفسه، ص17.

41- المصدر نفسه، ص23.

42- المصدر نفسه، ص24.

43- المصدر نفسه، ص25.

44- المصدر نفسه، ص13.

45- المصدر نفسه، ص15.

46- المصدر نفسه، ص19.

47- المصدر نفسه، ص7.

48- المصدر نفسه، ص9.

49- المصدر نفسه، ص12.

50- المصدر نفسه، ص117.

51- المصدر نفسه، ص 118.

52- المصدر نفسه، ص.120.

53- المصدر نفسه، ص122.

54- المصدر نفسه، ص122.

55- المصدر نفسه، ص124.

56- المصدر نفسه، ص136.

قائمة المصادر والمراجع:

1. محمد بوعزة(2007)، هيرمينوطيقا المحكي: النسق والكاوس في الرواية العربية، دار الانتشار العربي، ط1، بيروت لبنان.
2. آمنة بلعلي(2011)، المتخيل في الرواية الجزائرية: من المتماثل إلى المختلف، ط1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.
3. جابر عصفور(1982)، مفهوم الشعر: دراسة في التراث النقدي، المركز العربي للثقافة والعلوم، القاهرة، مصر.
4. جيرار جينيت(1997)، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء
5. خيرة حمر العين، الشعرية وانفتاح النصوص، تعددية الدلالة ولا نهائية التأويل، مجلة خطاب، ع 6، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري - تيزي وزو ، جانفي 2010.
6. سعيد يقطين(2000)، تحليل الخطاب الروائي: الزمن السردي في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي.
7. سعيدي عبد الفتاح، البعد الاجتماعي لنظرية الكاوس، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 18، مارس 2015.
8. صلاح فضل (1987)، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط 1،دار الشروق، القاهرة.
9. عادل مصطفى(2018)، فهم الفهم مدخل إلى الهيرمينوطيقا: نظرية التأويل من أفلا طون إلى جادامير، مؤسسة هنداوي، القاهرة.
10. عبد الغني بارة(2008)، الهرمينوطيقا والفلسفة: نحو مشروع عقل تأويلي، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، ط 01، الجزائر العاصمة.
11. عبد الفتاح كيليطو(1988)، .الحكاية والتأويل .دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب.
12. عبد الله إبراهيم (1990)، المتخيل السردي (مقاربات في التناص والرؤى والدلالة)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.
13. عمارة ناصر(2007)، اللغة والتأويل: مقاربات في الهيرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، الدار العربية للعلوم،ط1، الجزائر العاصمة، ص 76.
14. محمد الباز(2020)، الرواية العربية وقضايا الحداثة، ط1، دار صفصافة، القاهرة، مصر
15. محمود الضبع، المتخيل السردي وأسئلة ما بعد الحداثة، مجلة دبي الثقافية، الإصدار 77، فبراير 2013.
16. نبيهة قارة(1998)، الفلسفة والتأويل، دار الطليعة للطباعة والنشر،ط1، بيروت، لبنان، ص 9.
17. نصر حامد أبو زيد(1990)، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت/الدار البيضاء.
18. نصر حامد أبو زيد (2006)، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط 04، الدار البيضاء، المغرب.